أدب المقاومة في شعر السيد الحميري

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

أدب المقاومة في شعر السيد الحميري

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
جامعه الاديان والمذاهب كلية اللغات والثقافات الدولية
فرع اللغة العربية وآدابها
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

الملخص

تمثل الأغراض الشعرية في شعر السيد الحميري في مدة حكم السلطتين الأموية والعباسية من اظهار أدب المقاومة الملتزم المدافع عن عقيدتة بمشاعر نسجتها الظروف السياسية الظالمة لأهل بيت النبوة عليهم السلام. مما دفع السيد الحميري وبعض شعراء الشيعة الدفاع عن العقيدة بأسلوب الأدب الملتزم وبشتى الاساليب والأغراض الشعرية.

اذ أن الغرض يدل على الموضوع الشعري المتصل بالهدف من الشعر، أو النتيجة التي يتطلع عليها أو الغاية التي يتوخاها. وكلمة الغرض وردت عند القدامى من النقاد ففي قول قدامة بن جعفر: اجعل ذلك في الأعلام، من أغراض الشعر: الهجاء والمديح والمراثي والنسيب والتشبيه والوصف. وأكثرُ ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: المدح والنسيب والفخر والهجاء والوصف.

Poetic purposes and resistance literature in the poetry of Mr. Al-Himyari

abstract

During the period of rule of the two authorities, Mr. Al-Himyari was able to demonstrate the literature of committed resistance, defending his faith with feelings woven by the unjust political circumstances of the people of the House of the Prophet, peace be upon them. Which prompted Mr. Al-Himyari and some Shiite poets to defend the faith in the style of committed literature and with various poetic methods and purposes.

The purpose indicates the poetic topic related to the goal of poetry, the result it seeks, or the goal it seeks. The word purpose was mentioned by the ancient critics, in the words of Qudamah bin Jaafar: Make that among the notable purposes of poetry: satire, praise, elegies, relative, simile, and description. The most common purposes of poetry are five: praise, relative, pride, satire, and description.

الكلمات المفتاحية: ادب المقاومة، السيد الحميري، الأغراض الشعرية.

المقدمة

يُعد الشعر العربي على مرّ الزمان مرآة للحياة وواقعها الاقتصادي والسياسي والفكري والاجتماعي، ومن جهة هو يمثل فلسفة هذا الواقع وتوجهاتهم وأفكارهم، وارتبط ارتباطا وثيقا بالحياة العامة وما تستند إليه من بساطة أو تعقيد. في العصر العباسي عُني به الخلفاء وتأثر تأثراً كبيرا بالحياة العامة التي كانت سائدة في ذاك الوقت.

وعندما نتحدث عن تلك الحياة العامة نكون قد تحدثنا عن أوج (الحضارة الإسلامية) وما قامت بتحقيقه من إنجازات على كافة الأصعدة. فمن الناحية السياسية بلغت أوج قوتها، ووجهت سهاما صائبة إلى أعدائها على المستوى الخارجي والمستوى الداخلي.

أهمية البحث

لقد جسد الأدباء على مدى العصور المتتالية مواقف شتى في الدفاع عن عقائدهم بوجه السلطة المركزية وإمرائها ولم تكن تلك المواقف نابعة عن إغراء مادي بل هي مواقف أدبية وإنسانية تظهر عند البعض منهم في قصيدة واحدة أو اثنتين فتنطوي في باب الفخر والحماسة، وتكون عند البعض الآخر منهم أسلوب وشعار يتطرق إليه كلما سنحت له الفرصة ويلتزمه التزام تام، وهذا الأمر تجسد في شعر المقاومة عند السيد الحميري.

هدف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء ملامح أدب المقاومة وأساليبها في شعر السيد الحميري، فضلا عن إعداد دراسة نقدية مختصة بأدب المقاومة تحل مكانتها في المكتبة النقدية العربية.

المبحث الأول: استعمال المديح الداعم لشعر المقاومة

غرض المديح يعد من أبرز الأغراض الشعرية العربية، والقيرواني يرى أن الشاعر كان أعلى منزلة عند العرب من الخطيب، إلا أن تكسبه بالشعر وضعه في مكان أقل من الخطيب.[1]

إنّ اكثر ماورد من شعر المديح للسيد هو مدح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ليجعل من مدح الإمام علي عليه السلام سلاحاً أدبياً مقاوما ضد السلطات الجائرة في كل وقعة تاريخية إذ يجسد السيد ماجرى في غزوة بني قريضة بأروع صور الشجاعة بقوله:

إنّ الضباع متى تحس بنبأة من صوت أشوس تقشعر وتهرب

فدعوا ليمضي حكم احمد فيهم حكم العزيز على الذليل المذنب.[2]

يجسد لنا السيد الحميري صورة من صور المقاومة الأدبية في المدح والفخر لجيوش المسلمين بوصفه شجاعه الأمام علي بقيادة الجيش ودحر الاعداء كل هذا كان بدواعي المدح والفخر وحبه للعلويين في كل واقعة وزمان ومكان.

فالمديح من أبرز الأغراض التي تجلت في شعر السيد الحميري والموجودة عنده، ومندرج تحت إطار أدب المقاومة الملتزم وغالبيته يتجلى في الدفاع عن مذهبه كما ورد عند الأصفهاني قولا عن الشيباني عن لبطة بن الفرزدق إذ قال: تذكرنا الشعراء عند أبي فقال: ها هنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا في شيء معهما، فسألناه من هما؟ قال: السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله سبحانه وتعالى قد شَغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه.[3]

ورأيه هذا يبين في معياره الاعتقادي عن وجود عنصر الجمال في شعره، فالشاعر الحميري مجيد في قوة التعبير وسلامته، ويدل ذلك على أن الحميري كان يضيف صفات في المديح، يراعي فيها مكانة ممدوحه الاجتماعية التي عكستها منزلته الثقافية، كونها تشكل أثرا كبيرا في استجابة متلقي المديح، فالشاعر المتذوق كشف عنها بفضل منزلته الثقافية كونها من العوامل المؤثرة في التلقي والاستجابة.

إضافة لوجهات نظر متعددة في شعر السيد الحميري، منها ما ورد في قول بشار بن برد للسيد: لولا أن الله شغلكَ بأهل بيت نبيه عليهم السلام، لافتقرنا.[4]

وفي معرض إظهار صورة المقاومة موظفا ثقافته الدينية في مدح الإمام علي (عليه السلام)، وبيان مناقبه قائلا:

وفي ذات السلاسل من سليم غداة أتاهم الموت المبير

وقد هزمو ابا حفص عميراً وصاحبه مراراً فاستطيروا

وقد قتلوا من الانصار رهطاً فحل النذر أو وجبت نذور[5]

في هذه الأبيات نجد الشاعر الحميري يصف شجاعة الامام علي عليه السلام عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وإله،

أدب المقاومة في شعر السيد الحميري

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

لقتال جماعة من سليم وعاد عليا منتصرا شامخا ليرسم لنا السيد الحميري صورة أدبيه جميله بوصفها شجاعة الإمام (عليه السلام) وبأسلوب المقاومة الادبية.

وكان يفضل الامام علي (ع) على غيره في تولي خلافة المسلمين إذ إن النبي وصّى بها إليه وكان معتقدا بهذه الوصية قلبا وقالبا وإنه يشير لعصمة الامام فيقول في قصيدته البائية المذهبة:

إلى أهل بيت أذْهبَ الرجْس عَنْهُمُ وَصُفوا من الأدناسِ طُرا وطُيبوا

جعــل الولايـــة بعــده لمهــذَّب مـا كـان يجعلهـا لغيـرِ مهـذَّب[6]

ففي مدحه لأهل البيت نجده وظف موروثه الثقافي الديني فأشارو إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِرَكُمْ تَطْهِيرا﴾.[7] ففي أبياته السابقة يمدح آل البيت (محمد، علي فاطمة، والحسن والحسين) عليهم السلام. يستمر السيد بمدحه للإمام مبينا فضائله، إذ يقول:

مَنْ ذا بخاتمِهِ تصَدقَ راكِعا فأثابهُ ذو العرشِ عنهُ ولاءَ[8]

إذا كانت الصلة وثيقة بين مدح الشاعر الحميري لأهل البيت (عليهم السلام) فهذه تتصل بالأخلاق والدين والثقافة الدينية في أساس كل عمل أدبي، فنجد الدين والأخلاق يتردد صداهما في مناحي الأدب.

وقد أغنى السيد الحميري تجربته الشعرية بذكر فضائل وصفات ممدوحه فقد أشار إلى شجاعته الإمام عليه السلام، قائلا:

يا راية جبريلُ سارَ أمامها قدما واتبعها النبي دعاءَ

الله فضله بهما ورسوله والله ظاهر عنده الالاءَ[9]

أشار السيد إلى حديث نبوي للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أن النبي قد أتى بالكساء اليماني وتحته أدخلَ علياً والحسن والحسين وفاطمة وبذلك دعا قائلا: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت: فأدخلت رأسي البيت قلتُ: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنكِ إلى خير، إنك إلى خير،[10] ووظفه دلاليا ليحققَ مقاصده التي رمى إليها، فالمراد من توظيفه هذا هو إظهار المقاومة التي تمثلت في شجاعة الإمام علي عليه السلام كما يعد الحديث النبوي من الركائز الأساسية في تنمية المادة الأدبية والبيان العربي ومكونا أساسيا للثقافة العربية.[11]

فالشاعر مزج المقاومة بين مواقفه الفكرية والسياسية والثقافية ووظفها في غرضه المديح وبدورها أغنت تجربته الشعرية وزادتها رونقا. ففي مدح السيد الحميري بين مكانة أهل البيت عليهم السلام السامية، فشعره جاء لسانا ناطقا حيث قال:

متى ما يُرد مولاهُ يشرب وإن يُرِد عدُو لهُ يرجِع خزي ويُضرَبِ[12]

يشير الشاعر في بيته إلى قول الرسول الأكرم، للإمام عليه السلام: «أنتَ وشيعتك تردون علي الحوض، رواةً مسرورين، وجوهكم مبيضّة وإن عدوكم يردون علي الحوض ظماء، مقحمين».[13]

استحضر الشاعر هذا الحديث ليدل بشعره على مدح آل البيت، وليعرض بأعدائهم. ولا شك أن هذا الاستحضار يساهم في اتساع مخزون الشاعر الثقافي، كما قال في مدح (محمد ابن الحنفية):

فلا يخفى على أحد بصير وهَل بالشمسِ ضاحية خفاءُ

هنالكَ تعلمُ الأحزابُ أنا ليوث لا يُنهنِهها لقاءُ[14]

في هذه الأبيات شبه السيد ممدوحه بشمس واضحة للعيان مرتفعة، ومن ثم يصف شجاعة أهل البيت عليهم السلام بالليوث التي لا يهز لها لقاء. فكان اللفظ في شعره مطابق للمعنى وهذا ما أكسبه رصانة وقوة في أسلوبه. فموضوع المديح عند الشاعر الحميري يصب في بيانه لمناقب آل البيت عليهم السلام وللموضوع أهمية فائقة في بيان غرضه الأساسي ألا وهو المقاومة، وكان له تأثير في تشكيل الأسلوب، فالأساليب متنوعة، وتتنوع بحسب موضوعاتها التي تتناولها، فلكل مقام مقال.

يعلق التوزي بقوله: لو أن شعرا يستحق أن لا ينشد إلا في المساجد لحسنه لكان هذا.... ولو خطب به خاطب في يوم الجمعة على المنبر لحاز أجرا ولأتى حسنا.[15]

فالمتأمل في اللغة الشعرية للسيد الحميري يجدها أنها صادقة مبتعدة عن المبالغة غير مسرف فيها، مجسدة نموذجا لشخصية الممدوح المثل لروح الأمة في مبادئها وقيمها النبيلة، وهو ما يعكس نموذجا يقتدى به والتزاما خلقيا، كما أورد الصفدي مدائح السيد الحميري لأهل البيت عليهم السلام بقول السيد الحميري:

أقسمُ بالله وآياتهِ والمرءُ عما قال مسؤولُ

أن علي بن أبي طالب على الهُدى والبِر مجبولُ

علما أن الشعر هذا من الجيد المستحسن.[16]

ولا يستطيع أي شاعر مجاراة الشاعر الحميري في طريقته المشهورة في المديح، فله أسلوب خاص يتناول فيه أفكار بسيطة ليخلق منها عالما شعريا من الصور المبتكرة الطريفة الشيء الكثير.

والذي يستحق ذكره هو أن الشاعر الحميري أكثر في مديحه للإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده وقرابتهم لنبي الله وحرصهم وورعهم في الحفاظ على مصالح المسلمين، وعلى الإسلام.[17]

"والجاحظ التفت إلى هذه القضية في إشارته إلى تأكيد الشاعر على أن الإمامة نص من نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإمام علي عليه السلام" فضلا عن تأكيده على أخوة الإمام علي والرسول الأعظم وقرابته منه، وفي الوقت الذي كانت فيه السلطه تمنع وتقتل من يظهر ولائه لاهل البيت الا أنّ السيد الحميري يجهر بحبه وولائة كما جاء بقوله:

إني امرؤ حميري حينَ تنسبني لذي رعين وأخواني ذوي يزن

إني أمرؤ غير مؤتشبِ جدي رعين وأخوالي ذوو يزن

ثم الولاء الذي أرجو النجاة به يوم القيامةِ للهادي أبي الحسن[18]

فلم يخلو شعره من العذوبة والسهولة وطول النفس والانسجام وذكر المناقب والأخبار، ولم يترك فضيلة من فضائل الإمام إلا ونظم فيها شعرا، فقيمته الشعرية تكمن في طبعه وبساطة تراكيبه الشعرية وسهولة ألفاظه، فجاء شعره صادقا معبرا قريبا من القلوب، كما أراده السيد أن يكون.

أدب المقاومة في شعر السيد الحميري

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

المبحث الثاني: فاعلية الرثاء في شعر المقاومة

لا يوجد فرق كبير عند النقاد القدماء بين غرضي المديح والرثاء، فبعض منهم يرى أن الفرق يكون في المديح للحاضر، وفي الرثاء للغائب، وليس بين المدح والرثاء فرق فكلاهما واحد، إلا أن يخلطَ بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل: كان، أو عندما، أو ما شاكل هذا، ليعلم أنهُ ميت.[19]

غير أن الكلام هذا بحاجة إلى إعادة النظر لأن الرثاء أيضا: فن من فنون الشعر، أو أنه قابل للتنوع، ولقبول معانٍ أخرى متصلة به، مثل: وصف الكارثة، وذكر فضائل الميت.

وابن عبد ربه الأندلسي يعد من أبرز هؤلاء النقاد، الذين تنبهوا إلى الرثاء عند السيد الحميري فبين نماذج عند السيد الحميري يرثي فيها، منها رثائه للإمام علي عليه السلام.[20] في الوقت الذي كان يمنع فيه رثاء العلوين واظهار مظلوميتهم إلاّ أنّ شعر المقاومه عند السيد الحميري تحدى كل حواجز السلطة الظالمة ليعبر عن حبه للاهل البيت عليهم السلام،

كان غرض الرثاء عند الشاعر الحميري كله لأهل البيت ومن بين الأسباب التي دعت أعوانه من الشيعة ليحرصوا على قراءة أشعاره وحفظها وبالأخص قصيدته الميمية التي كتبها في رثاء الإمام الحسين إذ يقول:

في حرَام مِنَ الشهورِ أُحلت حرمة اللهِ والحرَامُ حَرامُ[21]

كما مزج السيد الحميري بين المديح والرثاء فمزج المدح بالرثاء في قصيد ذات بناء فني مكتمل لأنه ملتزم ببناء القصيدة الفني والقديم من خلال ذكره للأطلال، إضافة للسمة البارزة عند السيد الحميري ألا وهي عاطفته الجياشة والواضحة في قصيدته (العينية) إذ يقول:

لأم عمرو باللوى مربعُ طامِسة أعلامُه بلقَعُ[22]

ومن رثائه للإمام الحسين عليه السلام أيضا قوله:

امْرُرْ علَى جدَثِ الحسينِ وقُلْ لأعظُمِهِ الزكيهْ

يا أعظُما لا زِلْتِ منْ وَطْفاءَ ساكِبةِ رَوِيهْ

قبر تضمن طيبا آباؤه خيرُ البرِيهْ

آباؤهُ أهلُ الرياسَةِ والخلافَةِ والوصيهْ[23]

فالشاعر الحميري ضمن أبياته في رثائه مفاهيم الوصية والخلافة ليظهر الأدب المقاوم في عصر متبلور فيه مذهب أهل البيت يبدو أن المسألة طبيعية، وكثر في عصره جدال فكري بين الفرق الإسلامية وذلك لإثبات صحة المعتقد في السياسة والدين، فالعقيدة ثابتة في نفس الشاعر وصداها بارز في مراثيه لعامة أهل البيت عليهم السلام. وكان يرى أن العباسيين اغتصبوا الخلافة من العلويين فكثر في ذاك العصر الجدال السياسي والاحتجاج، وهذا الأمر انعكس على مراثي الحسين عليه السلام، وبذلك شعر الحميري تميز بالوضوح والسهولة، وضمنّ شعره مصطلحات ومفاهيم عقائدية كالإمام والإمامة والمهدي

والوصاية والخلافة وما إلى ذلك.[24] والمراد من ذكر هذه المواقف والحوادث في أشعاره هو شحذ الهمم عند الناس وحثّهم على القيام والثورة ضد الظلم ورفض الخطط والسياسات التي تهدف الى طمس هوية أهل البيت وتنحيتهم عن إدارة أمور المسلمين.

ومن قول السيد:

وكادُوا مُوَالِيَهُ مِنْ بَعدِه فيَا عَينُ جودي ولا تجمُدِ[25]

يمزج الشاعر بين المدح والرثاء فنجده يخاطب عينه ويطلب منها، ذرف الدمع، وأن تجود به، على (أهل البيت) عليهم السلام، ومواليهم وأتباعهم، وذلك لما لاقوه من ظلم السلطة، وخاصة حكم (بني أمية) فنجد اللفظ والوزن والمعنى ينسجم مع شعر الشاعرة الخنساء في رثاء أخيها. ولإغناء نصه إيضاحا ودلالة، يستشهد الشاعر الحميري في رثائه بخطب (الإمام الحسين عليه السلام) إذ يقول:

لستُ أنساهُ حينَ أيقنَ بالموتِ دعاهُم وقامَ فيهم خطيبا[26]

فأظهر السيد الحميري ألمه وحزنه الشديد مبرزا جوانب المراثي الدينية والسياسية، فأنشد شعرا قد تغذى من رحم التشيع الدافئ. وترك شعره تأثيرا كبيرا في الأدب المقاوم باعتباره مهد الثقافة والتشيع.

فحزنه الشديد على مصائب آل البيت عليهم السلام هو الذي أضفى متانة وقوة على غرض الرثاء في شعره.

ندب السيد الحميري الامام عليه السلام وبكى عليه بكاء حارا، فالرثاء هو تنفيس عمّا في صدره من نكبة وآلام، فيصف ألمه واستعظامه للحدث الجلل الذي هز كيانهِ معبرا عن مدى حزنه والأسى الشديد على نفسه، مستخدما لفظة: الدم كرمز للتضحية، وإن لم يذرف دمه دفاعا عن الإمام الحسين عليه السلام فرثاؤه ليس تقليديا، فهو يرثي شخص قريب من قلبه، يرثي حبيباً عزيزاً، فقد لاحظ التجربة وصورها، وبفكره عرف بعناصرها، وآمن بها.[27] إذ يقول:

يا عين فأبكِ ما حييت على ذوي الذمم العرفيهْ

لا عذرَ في تركِ البكاءِ دما وأنت به حريهْ[28]

فرثاء السيد الحميري يحتل مكانة كبيرة في الشعر العربي المقاوم، يعبر عن فلسفته ورؤاه الذاتية.[29]

وذلك يبدو جليا في مراثيه للإمام، فضلا عن كونه يحمل أبعاد عقائدية، وهو هدف السيد الحميري الذي سعى إليه لإظهار الأدب المقاوم، فالأبيات كانت قليلة في مراثيه، فامتاز شعره بمتانة المعاني، وصدق العاطفة، وذلك يعود لعنصر إلهامه الذي له جذور في (ولاية أهل البيت) عليهم السلام.

المبحث الثالث: دور الهجاء في توجيه شعر المقاومة

الهجاء هو فن من الفنون الشعرية له شعراؤه الذين يتقنونه ويجيدونهُ وليسَ كل من يجيد المديح باستطاعته الإجادة في الهجاء، ولهذا الأمر لم يقبل النقاد القدماء بقول العجاج عندما قيل لهُ: إنك لا تحسن الهجاء فرد عليهم: إن لنا أحلاما، تمنعنا من أن نظلم، وهل شاهدت بانيا لا يستطيع أن يَهدم، وابن قتيبة علق على الحديث هذا فقال: وهذا ليس كما ذكره العجاج، والمثل الذي ضربَه ليس بشكل، فالمديح هو بناء، والهجاء هو بناء أيضا، وليس كل بان لضرب أن يكونَ بصيرا بغيرهِ.[30]

يرى النقاد أن الهجاء له منهج غير ذلك، وفي النسج له خطة مغايرة، وفي الطباع يختلف الشعراء فبعض الشعراء يسهل عليهم غرض المدح وبعض منهم يتعذر عليهم غرض الهجاء.[31]

أما قدامة بن جعفر "يرى أن غرض الهجاء هو ضد غرض المدح، وكلما كَثُر في المديح الضد كانَ أهجى لهُ في الشعر، ومن ثم الطبقات تنزل على مقدار قلة الأهاجي فيها وكِثرتِها".[32]

ومن هجاء السيد الحميري، قوله:

أترَى صهاكاً وابنَها وابنَ ابنَها وأبا قُحافة آكل الذبابِ

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

كانوا يرُون وفي الأمورِ عجائِب يأتي بهُن تصرف الأزمانِ

إن الخلافةَ في ذؤابةِ هاشم فيهمُ تصيرُ وهيبةُ السلطانِ[33]

فالجاحظ يعلق على الأبيات قائلا: وابن دامة كان رافضيا وأبو عبيدة كان ضفريا خارجيا.[34]

والمراد من كلامه أن سكوت ابن دامة على هجاء السيد الحميري لأنه يتفقُ مع توجهاته واعتقاده بولاية أهل البيت عليهم السلام، ويرى أغلبية النقاد القدماء أن أفضل هجاء هو ما ينطبق عليه قول عمر بن العلاء: تنشدهُ العذراء في خِدرها ولا يقبح بمثلِها.[35] ونفسه هو الذي وصفه (خلف الأحمر) بالصدق في المعنى والعفة في اللفظ وحقيقة الجاحظ يريد مراعاة المقصد من غرض الهجاء والاعتدال، وموضوع القول والمخاطب، فضلا عما ذكره من أبيات شعرية قالها السيد الحميري وهو يهجو عمرو أبي بكر وعبد الله بن عمر إضافة إلى غيرهم من الصحابة، وأبيات السيد الحميري هي:

فبعدا وسحقا لتلكَ الوجوهِ للجبتِ والعدلِ والأبرَشِ

عتيق وصاحِبه الظالمينَ وعِجلهما ذلك الأرقشِ

فيا نفس حتى متى تليطينَ على الخائن الأول المرتشي[36]

والظاهر أن تأثر الجاحظ بهذه الأبيات يعود إلى تأثير "الصورة في الكشف عن الاهتمام بالتأثير والانطباع الذي خلفه شعر الحميري في النفس واستجابة المتلقي المباشرة، فالجاحظ وجد أن شعر السيد في الهجاء امتاز بصراحة وجهها بشكل مباشر دون أن يلجأ السيد إلى أسلوب إيحائي أو تعمية خاصة، وهجاء السيد الحميري يمس شخص الخليفة وهذا ما استدعى الجاحظ لأن يقول في موضع آخر: والعلماء.. لم يقل أحدٌ منهم أن أبا بكر كان أبرشا وعمر كذلك، ولم يقل أحد أن عبد الله بن عمر... كان أرقشا وهو الذي سماه العجل، وكان شديد الأدمة أتاه ذلك من قبل أخواله آل مظعون".[37]

"وبعد أن هجا السيد الحميري بعض الصحابة والخوارج والسيدة عائشة، واشتط به الأمر إلى أن وصل ليهجو ولديهِ، وكانا والديه إباضيين، لتعرضهما لعلي بن أبي طالب عليه السلام"، إذ يقول:

لعنَ اللهُ والدي جميعا ثم أصْلاهُما عذابَ الجحيمِ

كفرا عندَ شتمِ آلِ رسولِ اللهِ نَسْلَ المُهَذبِ المعصومِ[38]

أيضا يقول في والديه:

أبوي فاتقيا الإلهَ وأذعِنا للحق تعتصما بحبلِ نجاحِ[39]

فلا يوجد شاعر في العصر العباسي دافع عن مذهبه وحمل فكره الشيعي، وثار من أجل عقيدته الشيعية وهجا الصحابة ووالديه وما إلى ذلك مثلما فعل السيد الحميري، فتشيعه كان سائرا على عقيدة أهله وكل أعداء أهل البيت عليهم السلام وكل ما هو غير موالٍ لآل البيت.

ففي الوقت الذي يعلن فيه السيد الحميري عن حبّه لآل البيت (عليهم السلام)، بوصف طاعتهم أمراً مفروضاً على الجميع، كما أنه يحبّ كل مَن والاهم وأخلص في حبِّه لهم، نراه يلعن المعاندين وغير المعترفين بفضلهم، فضلاً عن تخصيصه الأهاجي ليذمهم بها، فيقول:

أهل الكساء أحبتي فهم الذين فرض الإله لهم عليَّ ولائي

ولمَن أحبّهم ووالى دينهم فلهم عليَّ مودّة بصفاءِ

والعاندون لهم عليهم لعنتي وأخصّهم منّي بقصد هجاءِ[40]

لم يكن حب السيد الحميري في أهل البيت لاسيما الامام علي (ع) حبا اعمى، حيث يغض الطرف عن الذين غالوا في حب الامام علي سالكين طريق الخطاء يبتغوت تحريف الدين، بل هجاءهم هجاءً لاذعا حيث يقول فيهم:

قوم غلوا في عليّ لا أبا لهم وأجشموا أنفسا في حبّه تعبا

قالوا هو الله جلّ الله خالقنا من أن يكون له ابن أو يكون أبا[41]

استخدم السيد الحميري في هجائه ألفاظ سلسة بعيدة عن التعقيد والغموض، بعيدة عن الفحش والسباب، فمثلا في هجائه لسوار القاضي ركز في أبياته على توضيح عيوبه التي يجب أن يتجنبها من تيه وكبر وخلط في أحكامه، وبشكل صريح دعا إلى عدم الأخذ بحكمه ومشورته، واستخدم الشاعر في أبياته ثقافته الدينية كحجة ودليل فاقتبس من القرآن الكريم في إشارته لطاعة الإمام بأنها تنجي من الناس في قوله عز وجل ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[42] وفي القصيدة التالية في هجائه للقاضي سوار يلاحظ ان السيد لم يقف كثيراً على مدح العباسيين، لاسيما السفاح والمنصور وانما كان شعره يتناول عامة بني هاشم، فليس في أشعاره ذكر صريح للسفاح وللمنصور أو غيرهم من خلفاء بني العباس أو ثناء خاص عليهم.

ففي بداية أبياته يمدح السيد الحميري الخليفة وينعته بالخيرية وهذه القصيدة الوحيدة التي جاء فيها اسم خليفة عباسي، وكان مراده من ذلك أن يدخل لقلب المنصور حتى يصل لغرضه الرئيسي وحاجته وفعل ذلك حقا عندما تلاه بالأبيات التي يحرض فيها الخليفة على القاضي المهجو وذكر عيوبه بشكل صريح من دون رمزية أو تلميح، غير خائف من ذكر اسمه ونعته بصفات الشر ونعته بأنه نعثلي، وكما قيل هو رجل يهودي من أهل المدينة أو من مصر، كان يشبه به (السيد عثمان بن عفان رضي الله عنه) من قبل أن ينالَ منهُ.[43]

ونعته بأنه جملي، والمقصود من أصحاب وقعة الجمل الذين وقفوا ضد الإمام علي عليه السلام.[44]

ولم يعدد عيوب القاضي فقط، بل عمد إلى تعداد عيوب جدهِ أيضا، فبين أن جده سرق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنزة، وحفيده وارثٌ لتلك الصفة وذاك الطبع وبنو تميم أجداده هم من نادوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من خلف الحجرات، وفي ختام أبياته يبين مفتخرا بذاته، وأن من يتعرض بالرمي له والهجاء، يصب بالزفرات داعيا في آخر بيت الخليفة أن يكفيه إياه بالعزل أو القتل، ونجد أن أسلوبه موجز وألفاظه سهلة والقصدية كانت بشكل مباشر، ومعانيه مكثفة مزج بين هجائه وفخره ومدحه ليحقق هدفه في نفسه وغايته على القاضي، واستطاع تحقيقها كما أورد ابن قتيبة فعُزل القاضي نتيجة لهجاء السيد الحميري له.[45]

أدب المقاومة في شعر السيد الحميري

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

ابتعد السيد في أبياته عن الألفاظ البذيئة الساقطة واكتفى فقط بتعداد.... عيوب المهجو وأجداده. في أسلوب واضح وتحريك عاطفي، وطلب القاضي من السيد أن يعتذر له قبل عزله، إلا أن الخليفة القاضي لم يقبل بعذره ذلك، فنتيجة ذلك أن السيد قام بهجائه، حيث يقول فيه:

أتيت دعي بني العنبر أروم اعتذارا فلم أعذرِ

فقلتُ لنفسي وعاتبتها على اللؤم في فعلها أقصري

أيعتذر الحرُّ مما أتى إلى رجلٍ من بني العنبر!

أبوك ابن سارق عنز النبي وأمك بنت أبي جحدرِ

ونحنُ على رغمك الرافضون لأهل الضلالة والمنكرِ[46]

فالشاعر الحميري هجا بهذه الأبيات القاضي واصفا إياه بوضاعة نسبه، وعاتب نفسه على اعتذاره، لعدم كفايته لهُ، وتعجب من ذاك الفعل، ومن ثم يعود الشاعر ويذكر فعل جده الذي هجاه سابقا به ويعيرهُ بهِ وختم هجاءه بتأكيده على رافضيته، فالشاعر الحميري رافضي معلوم المذهب إلا أن رفضه هو لأهل المنكر وأهل الضلال بحسب ما زعم فقضى السيد الحميري غرضه الأساسي والقاضي عُزل على يديه، فالسيد الحميري وظف الوقائع والأحداث والقضايا المرتبطة بالمهجو لخدمة غرضه في الشعر وذلك بدا بشكل واضح من خلال استعماله أسلوب السخرية والاستقصاء والمبالغة في الهجاء، وتعريته للمهجو من الفضائل المعنوية والروحية ومن القيم، فالشاعر كان قاسيا على سوار بتحريضه للمنصور بعزله واتهامه بعدم إخلاصه وميله للعباسيين. واستمر بهجائه لسوار حتى بعد موته إلى أن منعه الخليفة المنصور من هجائه.

ومن النقاد من يرى أن الشاعر الحميري شاعر مجيد في هجائه لابن ملجم،[47] كما قال:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك الإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناسِ إيمانا

وأعلم الناس بالإيمان ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا[48]

والناقد في هذه الأبيات في معياره النقدي استند إلى التدرج في تفضيل الهجاء، فيثبت الصفات المستهجنة كالخسة واللؤم والكفر والشرة والعصيان ويسلب المستحسنة التي تحتضنها النفس، وما إعجابه بأبيات الشاعر إلا لأن شعره صادق، فالهجاء عند السيد الحميري هو سلاح يرفعه في وجهِ أعداء مذهبهِ، فعقيدة الحميري الصادقة سبب نجاحه وتأثيره في هجاء أعداء

المذهب.

إضافة لذكر الأصفهاني هجاء السيد الحميري في قوله عن نظمه: ليس يخلو من مدح النبي هاشم أو ذم غيرهم فمن هو عنده، ضد لهم.[49]

وإشارة الناقد هنا إلى أبيات الحميري ربما تعود إلى هجاء الشاعر لعثمان وعمر ولأبي بكر، والدكتور المطلبي ذهب إلى انه بهذا يقدم نموذجا من الشعر الذي هجره الناس وتحاموه ولم يقوموا بحفظه أو روايته.[50]

والأصفهاني يرى أن الشاعر الحميري مسرف في تعريضه بالسن وسبه للصحابة، حتى أنه اضطر لأن يعتذر عن ترجمته له في أول كلامه.[51]

أما الحكيم فذهب إلى أن الحميري في هجائه لا ينم عن خبث في سريرته ويراه صاحب فكرة يعمل جهده لاعمامها ونشرها ويحارب كل من يختلف معه فيها، وهذا عمل شريف يحمد عليه مهما كانت فكرته، ما دام لم تكن له دوافع سوى الإيمان الواقعي الذي لا تشوبه أية أغراض من الأغراض الدنيئة.[52]

الخاتمة

مزج السيد الحميري بين هذه الاغراض الثلاثة المديح والرثاء والهجاء حتى أن السيد الحميري مزج بينها في أبيات من شعره، أستطاع من خلالها أن يصل إلى غرضه الشعري الأساسي وهو الدفاع عن عقيدته ومناصرته لأهل البيت عليهم السلام والتعريض بأعدائهم، فهو شاعر مجيد شعره مستحسن من السهل الممتنع، فضلا عن ألفاظه السهلة البعيدة كل البعد عن التعقيد والغموض فدفاعه تجلى من خلال أغراضه الشعرية، فجسد صورة أثرت في نفس المتلقي بشكل مباشر، فضلا عن الازدواجية التي كانت بارزة بشكل جلي في شعره وهذا ما أضفى على شعره متانة ورصانة وأسلوباً لا يماثله أسلوب شاعر من شعراء عصره.

قائمة المصادر

---

1. القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*: ج ١، ص ٥٠
3. الحميري، *الديوان*: ص 110
3. الأصفهاني، *الأغاني*: ج ٧، ص ٢٣٠
4. المزرباني، *أخبار السيد الحميري*: ص ٢١
5. الحميري، *الديوان*: ص 199
6. الحميري، *الديوان*: ص 46
7. الأحزاب: ٣٣
8. الحميري، *الديوان:* ص ٢٤
9. الحميري، *الديوان:* ص ٥٧
10. القمي، *تفسير القمي*: ج ٣، ص ٨٢٩
11. إسماعيل، *المكونات الأولى للثقافة العربية*: ص ٢٣١
12. الحميري، *الديوان:* ص ١١٨
13. ابن شهرآشوب، *مناقب آل أبي طالب*: ج ٢، ص ١٨٤
14. الحميري، *الديوان:* ص ١٩
15. الشريف الرضي، *القصيدة المذهبة للسيد الحميري*: ص ٥٦
16. الصفدي، *نصرة الثائر*: ج ١، ص ٣٥
17. الأميني، *الغدير*: ج ٢، ص ٢٢٦
18. الحميري، *الديوان:* ص ٢٣٢
19. القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*: ج ١، ص ١٤٧

أعداد طالب الماجستير كرار علي حمزه الزاملي
اشراف الأستاذ الدكتور محسن سيفي : جامعه كاشان
والأستاذ الدكتور عزيز مقدم : دائرة التربية والتعليم

---

[20] الأندلسي، *العقد الفريد*: ص ١٧٩

[21] الحميري، *الديوان:* ص ١٧٥

[22] الحميري، *الديوان:* ص ٢٦١

[23] الحميري، *الديوان:* ص ٢٢٧

[24] غياض، *التشيع وأثره في العصر العباسي الأول*: ص ١٠٥

[25] الحميري، *الديوان:* ص ٩١

[26] الحميري، *الديوان:* ص ٧٤

[27] ضيف، *فن الرثاء*: ص ٤١٠

[28] الحميري، *الديوان:* ص ٣٣٨

[29] جاسم، «مراثي (الإمام الحسين) في العصر الأموي»: ص ٢٣

[30] ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*: ج ١، ص ١٥

[31] بدوي، *أسس النقد الأدبي عند العرب*: ص ٢٥٠

[32] بن جعفر، *نقد الشعر*: ص ٤

[33] بن جعفر، *نقد الشعر*: ص ١٣٧؛ الحميري، *الديوان:* ص ١٧٥

[34] الجاحظ، *الحيوان*: ج ٢، ص ١٣٧

[35] القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*: ج ١، ص ١٨

[36] الجاحظ، *البرصان والعرجان*: ص ١٠٩. ومعنى الجبت: هو الساحر والكاهن والصنم، والعدل يصف الحمل، يكون على جانبي البعير بمعنى أن عمر: كان عدلا، لأبي بكر. عتيق: هو الذي عناه بالأبرش يهجو أبي بكر.

[37] الجاحظ، *البرصان والعرجان*: ص ١٠٩

[38] الحميري، *الديوان*: ص ١٥٦

[39] الحميري، *الديوان*: ص ٥٥

[40] الحميري، *الديوان*: ص 22

[41] الحميري، *الديوان*: ص 32

[42] النساء: ٥٩

[43] الأصفهاني، *الأغاني*: ج ٧، ص ١٩٩

[44] الأصفهاني، *الأغاني*: ص ١٩٩

[45] ابن المعتز، *طبقات الشعراء*: ص ٣٤

[46] الحميري، *الديوان*: ص ٢٣٤؛ الأصفهاني، *الأغاني*: ج ١٨، ص ١٤٣

[47] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*: ص ١٤٤

[48] الحميري، *الديوان*: ص ٥٢

[49] الأصفهاني، *الأغاني*: ج ٧، ص ٣٠. والمصادر القديمة اتفقت على أن سبب ضياع شعر السيد الحميري هو لكثرته،

وتحرج الناس من روايته لما فيه من تعريض بالصحابة وهجائهم.

[50] غياض، *التشيع وأثره في العصر العباسي الأول*: ص ٧٤

[51] الأصفهاني، *الأغاني*: ج ٧، ص ٤

[52] الحكيم، *شاعر العقيدة*: ص ٢٠٧